مفكرة

عن الطفل النائم بين القذائف

١ ـ زيارة سانت انطوان

قال لي تشارلز ديكنز :

ـ انظر ... ان غيوم مدينتك تتقرمز احتفاء بنبأ زيارة « سانت انطوان » .

ذهلت ابتهاجا ، وابتهلت للارض التي تبث الغيم ، انما حبا بالاستفسار تخابثت :

ـ وما سانت هذه ؟ ! ...

غمز بعينيه :

ـ كفاك تجاهلا يا ... جاك !

دفنت لفافتي ، وضغطت على كتفيه :

ـ ولكن الوردة لم تكتمل ؟

ـ لست وحيدا يا صديقي .

ومرت أمام عيني ضبيه ، والكرنتينا ، والدامور ايضا ، لكن تشارلز ثقب دماغي :

ـ انها امارات (سانت انطوان) المقبلة ...

وتصورت جماجم المدن ، وانهار الدم تصب في البحر الابيض .

يقول محدثي :

ـ ستفر الاشجار بنادق في الشوارع ، وتنقبر الجبال بانتصاب عملاق الدم ، وتندلع النيران في السجون والمقاصل ، ويندمج البحر باليابسة ، وتتعرى النساء الا من الاسلحة ، ويباد الاطفال ، لان طقوس سانت انطوان المعاصرة تقتضي تنظيف العالم من الماضي ، وتعميم الفوضى ، بغية ابداع القصيدة الجديدة ، منهج العالم المقبل .

وقبل ان اجيبه ، نهض ديكنز منتحيا « لاندبورت » ١٨٧٠ ، مخلفا فراشة وبرعما يتفتح في القلب .

لكن وردتنا اتسعت للشوك والعشب الطفيلي ... في حقول الكهرباء اندلع الشمع ، والوردة في الخوذة تحلم بالجمر ...

بلابل الدم تخثرت ، وانا جرح عريان يفتش عن جسد تدمله خلاياه .

مزقت اوتار حنجرتي ، واكتشفت وجهي في ذاكرة النسيان ...

أنا الذي اضج بالفراشات والعصافير والقرنفل والانهار ، تآلفت مع الرصاص والقذائف وملصقات القتلى ...

انا الجرح العريان يهاجمني الغبار ، ويخطف الضجر أيامي الى مغامرات رعاة البقر ، وغابات الحنين . وتسربل الدهشة قلب عاشقة تمشط ذاكرتها بالاحلام ...

كبكاء الاجنة لحظة الولادة ، كانت حبيبتي تجفف عينيها تودع الانتظار ، وكان بردى يمرّغ جسده فوق فمي ، والوردة لم تكتمل بعد ،

وجاك ... يهذي وحيدا ! :

نامت الامطار في نافذتي ، ثمة غيوم صيف اذن ... بعصبية ادخن ، واقبر اللفائف ، واخلع ملابسي وانام عاريا ، احلم بسانت انطوان ...

ومن النافذة تنهض قطرة تقول :

ستكتمل وردتنا ، وتذوب زهور الشمع بشمس .. جاك ! ... اطفأت لمبات غرفتي ، واغمضت جفني استسلم للانتظار في النوم ...

ان جاك رقم (١) لا يملك الا جسدا واحدا ، وذراعين ، ونبع قصائد تناجي وردة المضطهدين ان تكتمل ، قبل زيارة سانت انطوان ذات الحدين !...

٢ ـ أحلام جاك

مر البحر أمامي غاضبا ، يفرغ علي اسراره ويمضي هيكلا عظميا .. ،

نهضت في جسدي بواخر أسلحة ، وجزر في منتهى الغرابة ، ومن سرتي خرجت صارية بهدوء من حبالها تتدلى خمسة أجساد ، عشرة أكف ، عشرة عيون مطفأة ، كانت الاصابع معدنية ، والوجوه زجاجية ، وعلى كل جبين ختم « القلعة » أخضر النزيف ..

هجرتني اصابعي الى حقول الشمس ،

بدمي الطخ عواصم المدن ،

وبجسدي اهدم زنزانات السجون ...

فجأة خرج البحر من جسدي ، وجدت نفسي فوق ناقة في صحراء تزكم رائحة البترول انفي ، لا شجر ، لا ينابيع ... مقاصل واعلام امريكية ، وبنادق اوتوماتيكية مصوبة نحوي .. ،

شهرت مسدسي اطلق النار على الرايات ، لم تتحرك البنادق ، نفذت ذخيرتي ، وهاجمتني الرمال بذئابها وضباعها ، فاستحلت عصفورا يزقزق اناشيده في سماء الوطن ...

حينئذ فقط تحركت البنادق ، وسقطت جريحا في بستان جميل يضج بالياسمين الدمشقي .. ، ومن كوخ نظيف خرجت فتاة عارية ، لم تبتسم ، بهدوء ضمدت جراحي ، وادخلتني الكوخ .. فوجدت نفسي انيقا في مدينة كل سكانها اطفال ، وكل الرايات ارجوانية ، والشمس مستقرة في كبد السماء ..

لكن انفجارا قويا ، اخرجني من الكوخ .. ، واخترق اذني صوت سيارات الاسعاف ، وعويل النساء .

نهضت من السرير ،

أشعلت لفافة تبغ ،

غسلت وجهي ،

وارتديت ملابسي ،

واقفلت باب شقتي باحكام .

هادي دانيال